مركز الأصالة والتجديد للدراسات والبحوث
يعنى بعرض أهم المقالات والتحليلات والخلاصات لكتب مختارة والمتعلقة بالشأن العراقي
العين العراقية
الملحق
ملحق بنشرة العين العراقية
الآراء والمقالات لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز

فورن بوليسي: سنوات العراق السيئة في طريقها للعودة... وأميركا تفقد السيطرة

قالت مجلة "فورن بوليسي" إنه مع اسراع وزير الخارجية جون كيري إلى مروحيته للإقلاع في نهاية زيارته للعراق العام الماضي صار واضحا أن الأمريكان فقدوا سيطرتهم على بلد كانوا يرغبون بصياغته حسبما يشاؤون، وكانت مغادرة كيري في ٢٤ آذار ٢٠١٣ تؤشر نهاية زيارة مفاجئة كان المقصود منها احياء الذكرى العاشرة للاجتياح الأميركي للعراق، فقبل عشر سنوات اقتحمت الولايات المتحدة بغداد واطلقت العنان لواحد من اكثر الصراعات وحشية في القرن العشرين ومنذ ذلك الحين ونزيف الدم لم يتوقف في العراق.

في تلك الزيارة لم يعرض كيري شيئا ذا قيمة سوى نفس الكليشيهات المتكررة عن النجاح المفترض لديمقراطية العراق كشاهد على انتصار وهمي للقيم الأميركية، لكنها تحكي عن عقد من الحرب لم يكن كافيا حتى لضمان رحلة اعتيادية لدبلوماسي أميركي.

كانت تلك الزيارة تشكّل مفاجأة بسبب غياب التنسيق الذي يضمن سلامة كيري بين السفارة الأميركية المكونة حينها من ١٦ الف عنصر والحكومة العراقية، ومع ذلك فقد كان هناك شيء شرير يختمر في العراق حيث ضاق رجال العشائر السنيّة ذرعاً من النموذج السياسي الذي فرضه الأمريكان فور وصولهم الى البلد، ما تسبّب بتقسيمه على أساس الخطوط الطائفية.

ومن الطبيعي ان بلدا بحجم وتاريخ العراق لا يمكن أن ينزلق بسهولة إلى جنون طائفي من تلقاء نفسه ألا أن السياسيين من السنّة والشيعة والمثقفين من الذين رفضوا الانضمام إلى الركب السياسي المتعصب السائد قد تعرضوا للتهميش لفترة طويلة

أو قتلوا أو سجنوا أو رحلوا ولم يعد لهم مكان في عراق اليوم بالإضافة إلى إلغاء الهوية الوطنية التي حلت محلها الطائفة والعشيرة والدين والعرق.

اليوم لم يبقَ في السفارة الأميركية اكثر من ٥١٠٠ عنصر، كما أن الشركات الأميركية تتخلى عن استثماراتها في جنوب العراق حيث يتواجد معظم نفط البلاد، والمالكي له اليد الطولى هناك، بالطبع انه لا يتحدث نيابة عن كل الشيعة، كما انه لا يتسامح ابداً مع المعارضين، ففي عام ٢٠٠٨ حارب بوحشية ليستعيد زمام الأمور في البصرة من المسلحين الشيعة الذين تحدّوا حكمه، وبعدها قام بضرب جيش المهدي في احدى ضواحي بغداد، لقد كسبَ في كلتا الحالتين لكن بعد أن قدّم خسائر فادحة، ومع ذلك فقد احتفظ المالكي بأكثر معاركه الوحشية لمعارضيه من السنّة.

وتدّعي حكومته كما هي حال اغلب المستبدين العرب بانها تقاتل الإرهاب منذ اليوم الأول، لكنها في الواقع لم تتخل عن اهدافها غير المعلنة، وعانت العشائر العراقية السنيّة من الاستبعاد والإذلال رغم محاولات التفاوض لإيجاد صيغة تحفظ كرامة ملايين من الذين هربوا من جحيم الحرب.

واشتهر امثال وزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد بسمعتهم السيئة في استهداف العشائر السنيّة والقسوة مع أية مجموعة تدعم بأي شكل من الأشكال او تتسامح مع المقاومة.

وكانت تلك الأحداث واقعا مؤلما من خلال سحب آخر القوات الأميركية من العراق إلى الكويت، فقد تركت الولايات المتحدة العراق في اسوأ سيناريو تمثل بحكومة مركزية طائفية فاسدة وأحزاب تتنافس على السلطة والانتقام والاستقطاب الطائفي في صورتها المتطرفة.

مع كل ذلك فما زال العراق مهما بالنسبة للأمريكان، ربما يكون تجربة عسكرية فاشلة، لكنه لايزال غنيا بالنفط والغاز الطبيعي كما انه يزداد غنى، حيث تتوقع مسودة الميزانية العراقية لعام ٢٠١٤ معدل صادرات تبلغ ٣,٤ مليون برميل في اليوم الواحد أي بزيادة مليون برميل عن العام السابق حسب "وحدة المعلومات الاقتصادية".

وتتوقع فوربس أن هناك تحولات جذرية تلوح في الأفق فيما يتعلق بمستقبل سوق النفط، حيث ذكرت وكالة الطاقة الدولية بان العراق يمكن ان يصل الى انتاج ٩ ملايين برميل يوميا بحلول عام ٢٠٢٠ وهو أعلى معدل في تاريخ الصناعة النفطية.

في الحقيقة يرى الكثير من المراقبين أن كيري والإدارة الأميركية لا يهتمون كثيرا بالمالكي لأنه وثيق الصلة بطهران ولا يمكن الوثوق به، لكنه اقوى رجل في العراق ويتحكم بما يقرب من ٩٣٠ الفاً من أفراد القوات الأمنية الموزعين على قوات الجيش والشرطة ودوائر الاستخبارات، وهذا الأمر قد أخذته الولايات المتحدة بالحسبان.

على أية حال فان ثروات العراق لا يمكن الحصول عليها بسهولة، صحيح ان الأحزاب القوية في البلاد مرتاحة لكون القمع الذي يمارسه الجيش ضد العشائر السنية والتنظيمات المسلحة في الأنبار وغيرها يحدث بعيدا عن حقول النفط الرئيسية في البلاد، لكن عليهم ان يدركوا بأن الحرب الأهلية سرعان ما تخرج عن السيطرة، فقد كان عدد القتلى لعام ٢٠١٣ عالياً جداً اذ بلغ أكثر من ٨ الاف أغلبهم من المدنيين وهي أعلى نسبة منذ عام ٢٠٠٨ حسب الأمم المتحدة.

يبدو ان سنوات العراق السيئة في طريقها الى العودة، لكن هذه المرة بغياب الولايات المتحدة لتسيطر على الأحداث، وقال كيري في آخر تعليقاته خلال زيارته للقدس "هذه معركة العراقيين"، وفي الحقيقة إن الولايات المتحدة لا يمكنها أن تفعل الكثير بوجودها العسكري والدبلوماسي البسيط.

• غيبوبة العقل العربي

أ. حسين العامري

منذ أيام أستوقفني تقرير نشرته دار (أوكسفهام) البريطانية للأبحاث والدراسات الدولية تناول أهم مئة منجز وصلت إليه البشرية خلال عام ٢٠١٣ الماضي في شتى فروع العلوم والتقنية والطب والذرة والآداب والفنون، بل في كل ما لا يخطر على بال من اختراعات وابتكارات في طرق الترفيه والثورة الحاصلة في عالم الاتصالات الواسع، من أهم فيلم وثائقي في العام المنصرم إلى أهم اختراع هندسي، ومن أفضل رواية إلى أكثر الأبحاث المختبرية لمحاربة سرطان القولون الذي يقول عنه التقرير إنه سيتحول إلى مجرد "مغص معوي" في نهاية العام القادم، ومن أهم موقع تواصل إلكتروني إلى أجمل فكرة بيئية على وجه هذه الأرض، وباختصار فإن جميع ماورد في التقرير من مشروع أو بحث أو فكرة لايمكن تجاهلها أو نسيانها مما زاد أعجابي حتى باختيار الرقم مئة كونه يحمل خلاصة جهد العقل البشري.

لكن الذي لا يَسُر هو أنه لم يرد في هذا التقرير الاستقصائي عن أهم مئة منجز عالمي خلال عام ٢٠١٣ اسم أي دولة عربية أو مدينة، ولم يرد فيه اسم أي جامعة عربية أو مركز أبحاث، كما لم يرد فيه اسم أي مشروع أو فكرة أو بحث عربي، علماً أن هذا التقرير لم يكتفِ بذكر أسماء دول لها حضورها الدائم في مجال التقدم العلمي والتكنلوجي مثل أميركا وبريطانيا والمانيا واليابان وربما أيضاً الهند وماليزيا والبرازيل بل تعدى ذلك إلى ذكر مشاركات كثير من الأمم والشعوب في كل أرجاء العالم ولم يستثنِ إلا بلادنا العربية .

أفضل فيلم قصير جاء من أوكرانيا، وأروع فكرة هندسية للبناء المعماري البيئي كانت من "غانا" الأفريقية، ومن الشرق فازت "تايلاند" بأفضل مدرسة لمشروع تعليمي تجريبي، ومن الغرب فازت "أروغواي" بأفضل فكرة للاقتصاد الهيدرولوجي لمياه الشرب في العاصمة "مونتفيدو".

لماذا أفل نجم العرب وغاب تماماً عن المشاركة في هذا المنجز "المئوي" على مدى عام كامل؟، ولماذا كان غيابهم حاضراً حتى على المنجز الإنساني في قرن كامل (قرن غيّر معالم البشرية)؟ أعتقد أن السبب الجوهري وراء ذلك هو "الغيبوبة عن عصر العلم"، بالرغم من احتواء خريطة الوطن العربي على مئات الجامعات التي لم تستطع سوى ثلاث منها منافسة أفضل ٥٠٠ جامعة عالمية، ولم تصمد منها سوى جامعة واحدة للمنافسة على قائمة "المئتين" لنصف سنة قبل أن تتراجع من جديد إلى مواقع أخواتها الأصلية.

ماذا سنقول لأنفسنا أمام هذا العالم المزدحم حين تشير أرقامنا أن ٧٠ مليون عربي يذهبون كل صباح إلى طوابير التعليم العام، ومثلهم ٣٠ مليون طالب جامعي في ضيافة خمسة ملايين مدرس وأستاذ وباحث في الجامعات العربية، ثم يأتي هذا الحصاد المخجل في أن اسماً عربياً أو جامعة أو بحثا أو حتى فكرة لم تستطع على الإطلاق أن تخترق قائمة طويلة من مئة صنف في شتى المعارف البشرية خلال عام كامل.

إن العرب هائمون بماضيهم لأنهم كتبوا صفحات مشرقة من التاريخ الإنساني لقرون، لكنهم ظلوا خارج هذا التاريخ لقرون أخرى، لأنهم أضاعوا الطريق الذي قادهم ذات يوم نحو الحضارة، فبحثوا عنه لأزمنة ولكن دون جدوى، فالالتحاق بركب الحضارة مجدداً و دخول التاريخ من بابه الواسع يقتضي من العرب معرفة كيف خرجوا منه من الباب الضيق.

ماذا برأيكم سنكتب عن بني يعرب لو أننا شاركنا في هذا التقرير؟ هل سنكتب باننا نتباكى على واقعة حصلت قبل ١٤٠٠ سنة قد عفى عليها الزمان يتهم بعضنا البعض جزافا بإرتكابها؟ هل سنكتب أننا دخلنا موسوعة غينيتس بأعداد الأبل والنوق والاصطياد بالصحاري؟ هل سنكتب أن بشار قد حقق نصراً مؤزراً على شعبه وهو يمطرهم بالبراميل المتفجرة ؟هل سنكتب ونحن نتحدث عن مهد الحضارة الانسانية (العراق) أن هذا العراق وفي عهد تسلط الحكومة الشيعية تحت عمامة ولاية الفقيه قد تفنن في أختراع أبشع الطرق لقتل الجنس البشري من تثقيب الجسد الحي بالكهرباء وتقطيع بالمناشير وحرق النساء أحياء بل وطبخ الاطفال مع الرز واهداء ذلك القدر الى والدة الطفل المشوي كل ذلك لأنهم يخالفون دين الحكام الجدد الي جاءوا إلى سدة الحكم محمولين على دبابات عدو البلد؟!

نعم هو مجرد تقرير استقصائي واحد لكنك تستطيع من خلاله تحديد موقع العرب على الخريطة الكونية ولتكتشف أن الوجه والعقل العربي غريب على هذه الأرض وبشجاعة أكثر كشفاً للزيف والتضليل، هو لا يعيش على هذه الأرض إلا عالة على المنجز الإنساني لكل الأمم والشعوب من حوله.

انتهى